الفصل الأول

قلق المفهوم وبناء المصطلح
في نظرية الفن الإسلامي

قلق المفهوم وبناء المصطلح
في نظرية الفن الإسلامي

مقدمة

مع كثرة الحديث عن (**الفن** art) والكتابة فيه، فإنّ الثقافة العربية والإسلامية لم تحسم أمرها في تعريفه تعريفاً مصطلحياً جامعاً مانعاً، قاطعاً الطريق على أي تباين أو اختلاف في بنائه أو في مفهومه أو في استخدامه. وربما لصعوبة هذا التعريف وتعقيداته المتداخلة بين المعاني اللغوية والمفاهيم التداولية والدلالات الثقافية، ظل لفظ الفن بحاجة معرفية شبه دائمة ومعاصرة لتعريفه على نحو علمي واضح ومحدد في ضوء علم المصطلح. وربما أدى هذا الأمر إلى أن يكون مفهوم الفن وموضوعه العام أحد الإشكاليات الفكرية والمعرفية والمصطلحية التي لا تزال قائمة في الثقافة العربية والإسلامية الحديثة والمعاصرة.

وكان لا بد لهذه الإشكالية من أن تخلّف بعضاً من آثارها السلبية على مفهوم (الفن الإسلامي)، بوصفه مصطلحاً وموضوعاً ومجالاً معرفياً حديث النشأة في هذه الثقافة. وربما كان لحداثة الظهور التاريخي لمفهوم (الفن الإسلامي) دور معنويٌّ ما في رسوخ الاعتقاد لدى كثيرٍ من المشتغلين بأعمال هذا الفن وتأريخه بأنه -من حيث هو موضوع- يبدو كأنه -في أحسن أحواله المعرفية-

موضوع ثانوي من موضوعات علوم الحضارة، والتاريخ، والآثار الإسلامية.

والسبب الرئيس في ذلك هو النشأة المعرفية الاستشراقية الحديثة والمعاصرة لما أصبح يطلق عليه اليوم (علم الجمال الإسلامي)؛ إذ أدت المعرفة الاستشراقية إلى جعل أغلب ما يتعلق بالفن الإسلامي من موضوعات؛ مرتهناً -إلى حد كبير- بالصنيع العلمي والفلسفي الغربي لطبيعة هذا العلم وحدوده.

وإذ نقصد بالموضوع هنا كل ما يمكن أن يخضع للبحث العلمي في تاريخ الفن الإسلامي وفلسفته من الآثار والأعمال الفنية المادية، ومن الآراء الفكرية والمعلومات النظرية المتعلقة بتلك الآثار والأعمال الفنية، فإنه يمكننا القول إنّ هذا الارتهان ربما كان سبباً مباشراً أو غير مباشر في أن يظل الجدل المعرفي العربي والإسلامي المعاصر في مفهوم (علم الجمال الإسلامي) وعلميته، قائماً بين الدعوات الأولية إلى بناء مفهومه،[1] والتأسيسات المعرفية المتواضعة لبنيته العلمية،[2] والرفض الفلسفي القاطع لمفهوم هذا العلم ومقوماته المعرفية.[3]

---

(1) الدسوقي، عبد العزيز. "نحو علم جمال عربي: تصور وتطبيق"، **عالم الفكر**، الكويت: المجلس الأعلى للثقافة والآداب والفنون، مج9، عدد2، 1978م، ص188.

(2) صغيري، عبد العظيم. **علم الجمال.. رؤية في التأسيس القرآني**، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، كتاب الأمة، عدد151، ط1، 2012م، ص135.

(3) توفيق، سعيد. **تهافت مفهوم علم الجمال الإسلامي**، القاهرة: دار قباء، ط1، 1993م، ص21.

ومن أبرز موضوعات الفن الإسلامي المتأثرة بذلك كله، موضوع (التسمية designation) القائم في دراسات الفن الإسلامي عادة على الرؤية الاستشراقية، والمنهج الآثاري والتصنيف التاريخي في فهم منجزات (الإبداع الفني الإسلامي) المادية، وفي تفسير نظرياته الفلسفية والجمالية وغيرها، فهماً غربياً محضاً، غالباً ما أدى إلى إطلاق ألفاظ وأسماء صارت فيما بعد (مصطلحات) مبنية -بشكل أساس- على المفهوم الغربي لأعمال الفن الإسلامي وأفكاره؛ إذ نشأت هذه المصطلحات في حضن البحث العلمي الاستشراقي الخاص بدراسة الآثار والعمارة والفنون والصنائع الإسلامية، فقد كان لهذا البحث الذي تعود بداياته الأولى إلى القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي على أقل تقدير، تأثيره الكبير في تسمية المكتشفات المتعلقة حضارياً وثقافياً وجغرافياً بالعالم الإسلامي من العمائر والتحف والمخطوطات، وغير ذلك من الآثار المعمارية والأعمال الفنية، بما يمكن القول معه بأن الرؤى والمفاهيم والمصطلحات الاستشراقية كانت قد شكلت المادة المعرفية الأولى والتأسيسية -على الأقل- للغة البحث العلمي في مجالات الفن الإسلامي، المختلفة، وتطورت المستويات العلمية والمنهجية والمفهومية لموضوع المصطلح المتعلق بالفن الإسلامي لتكون بمنزلة العصب المعرفي لما يمكن أن نسميه (لغة الفن الإسلامي).

وعلى الرغم من أن النظرية اللغوية للفن الإسلامي قد تمتد -بلا حدود أحياناً- في آفاق المجاز النقدي القائم على القراءة التأويلية لأعمال هذا الفن وآثاره، بوصفها علامةً بصرية ورمزاً ثقافياً وخطاباً معرفياً عالياً في ما يفوق الشكل الفني، ويبحث في ما وراءه من المعاني والدلالات والقيم،[1] فإن ما نقصده بلغة الفن الإسلامي، ونسعى للبحث فيه هنا، هو: مجموعة المفاهيم والمصطلحات التي تشكل بؤراً دلالية لموضوعات هذا الفن الرئيسة، فضلاً عن كونها الكلمات المفتاحية للبحث العلمي في مجالاته المعرفية المختلفة. ولذلك؛ فهي لغة معرفية بامتياز، تقوم -بشكل أساس- على ما يمكن أن نطلق عليه المصطلح الفني.

وقد يُستخدمُ هذا التعبير -عند بعض المعنيين بدراسة المصطلح ووضعه وصناعته- مرادفاً مطلقاً لتعبير (المصطلح العلمي)، لكننا لا نقصد ذلك، ولا نحبذه في ظل تطور علم المصطلح، وتصنيف المصطلحات في الثقافة العربية والإسلامية الحديثة والمعاصرة، لأن المصطلح لفظ من الأسماء أو الصفات، يتفق أهل كل تخصص على عدّه رمزهم اللغوي الدال مباشرة على مفهوم معين عندهم، ومتداول بينهم، وقد يكون شائعاً عنهم لدى غيرهم، بوصفه مصطلحاً خاصاً بأهل هذا التخصص وجماعته العاملة عليه.

---

(1) معهد الفنون الإسلامية التقليدية. **مقالات في الفنون الإسلامية**، الأردن: جامعة البلقاء التطبيقية، ومؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي، د.ت، ص16-28.

ومن هنا؛ يمكن أن يعرف المصطلح باسم أهله وصفة جماعته الخاصة، أو المجال المعرفي الذي ينتسب له أكثر من غيره، فقد يطلق (المصطلح العلمي) عاماً على كل مصطلحات العلوم والآداب والفنون والصناعات بوصفها جميعاً علوماً، وبوصف المصطلح (مفتاح العلوم)، ولكن الأفضل من وجهة نظر علم المصطلح، تصنيف تلك المصطلحات على العموم إلى (المصطلح العلمي) الخاص بجماعة العلماء، و(المصطلح الأدبي) الخاص بجماعة الأدباء، و(المصطلح الفني) الخاص بجماعة الفنانين ونقاد الفن ومؤرخيه، وهكذا.

ويمكن القول في هذا السياق كذلك، مثلما وجد في المعرفة العربية الإسلامية (علم مصطلح) الحديث، يمكن أن يوجد فيها علم لألفاظ الفن الإسلامي ومصطلحاته، بما يمكن أن نسميه -على العموم- (المصطلح الفني الإسلامي).

أولاً: إشكالية البحث وهدفه

ما يستدعي التوقف عنده، مما يتعلق بواقع هذا المصطلح في لغة الفن الإسلامي ونظريته المعرفية العامة، هو الإشكالية الفكرية التي قد تثيرها الصناعة الاستشراقية لمفاهيم هذا الفن ومصطلحاته الأساسية. وتتمثل هذه الإشكالية في المفارقات الثقافية والمعرفية واللغوية -إلى حد ما- بين كلٍ من هوية الفن الإسلامي الذاتية

وحقيقته الإبداعية الأصيلة على مستوى الهوية، من جهة، وصورته الموضوعية التي قد تبنى بفهم غير إسلامي بالكامل، ولسان غير عربي أحياناً في التعبير والأسلوب، من جهة أخرى.

لذلك؛ تسعى هذه المقاربة إلى دراسة الإشكاليات اللغوية والدلالية المتعلقة ببعض هذه المفاهيم والمصطلحات الفنية الإسلامية، والتعرف على مصادرها الأساسية، المتمثلة في بعض لغات الشعوب الإسلامية وثقافاتها المتنوعة بعامة، والمتمثلة أحياناً أخرى في بعض اللغات الغربية الاستشراقية بخاصة، فضلاً عن دراسة حقيقتها اللغوية العربية الأصيلة في الثقافة الإسلامية.

وتهدف هذه المقاربة البحثية إلى محاولة تأصيل المصطلح الفني الإسلامي، إذ تقوم نظرية العمل المنهجية التأصيلية هذه على الإفادة من روافد معرفية عدة، من أبرزها:

1 – الموروث الإسلامي لعلم الجمال وموضوعاته الفنية والنقدية؛ النظرية والتطبيقية.

2 – العناية المبكرة لبعض المجامع اللغوية والمؤسسات العلمية، ولبعض مفكري النهضة العربية والإسلامية الحديثة، بدراسة الإشكاليات المعرفية، والتحديات الثقافية المعاصرة التي واجهتها اللغة العربية بالذات، ولا تزال تواجهها، في التعامل مع ما أطلق عليه اللغويون العرب المحدثون والمعاصرون (ألفاظ الحضارة ومصطلحات

الفنون)[1] المتعلقة بالاكتشافات والاختراعات والوسائل ومظاهر الحياة الاجتماعية المختلفة من الملبس والمأكل وما شاكل، والمتعلقة بالعلوم الطبيعية والإنسانية والصرفة والتطبيقية، فضلاً عن النظريات والفلسفات والحركات والتيارات الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، وغيرها من مظاهر الحضارة الحديثة وظواهرها اللغوية والثقافية والاجتماعية الوافدة بقوة إلى الحياة العربية والإسلامية،[2] والداخلة إلى بعض مؤسساتها العلمية والأكاديمية والثقافية، وبخاصة المصرية منها، منذ بدايات القرن الرابع عشر الهجري/العشرين الميلادي، لتلقي بظلالها الثقيلة على واقع اللغة العربية المعاصرة.

ثانياً: دراسات الموضوع السابقة

ربما تكون الخصوصية اللغوية والمعرفية -التي يتمتع بها (المصطلح الفني الإسلامي) بين هذه الألفاظ الحضارية والمصطلحات الفنية الحديثة- سبباً في قلة الأدبيات المتعلقة مباشرة

(1) مطلوب، أحمد. "**معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون**"، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، مج78، ج3، 2003م، ص33.

(2) يعد الأديب محمود تيمور (ت 1392هـ/1973م)؛ عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة، رائد العمل العلمي العربي، وربما الإسلامي، الحديث لصناعة أول معجم لألفاظ الحضارة ومصطلحاتها العربية والإسلامية، سماه: **معجم الحضارة**، وطبع طبعته الاولى في القاهرة: المطبعة النموذجية، عام1961.

بهذا الموضوع، وفي شحة الدراسات السابقة، التي غالباً ما تجيء عرضاً في سياقين رئيسين، وربما متداخلين أحياناً؛ هما:

1 – البحث العلمي الاستشراقي المتعلق بتاريخ الفن الإسلامي وتحولاته المعرفية.

2 – البحث اللغوي العربي المتعلق بالألفاظ والمصطلحات والمفاهيم التي اخترعتها، أو أطلقتها الدراسات الاستشراقية المتعلقة بتاريخ الفن الإسلامي.

ومن هنا؛ قد يصعب القول بوجود دراسات مصطلحية خاصة بهذا الموضوع، مع وجود محاولات متواضعة لوضع المصطلح الفني الإسلامي ومَعْجَمته في:

1 – معاجم عامة، كمعجم مصطلحات الفن الإسلامي للباحث الآثاري أحمد محمد عيسى، الذي عمل عليه من خلال استخلاص ألفاظ الفن الإسلامي ومفاهيمه ومصطلحاته الواردة في الكتب الأجنبية، وترجمتها، وتصنيفها، ومعجمتها، سداً لذرائع النقص اللغوي والتقصير المعرفي الثقافة العربية والإسلامية الحديثة والمعاصرة، التي كانت –إلى حد ما، بحسب رأي هذا الباحث– "فقيرة في كتب الفنون الإسلامية، وفقيرة كذلك في مصطلحاتها الفنية؛ إذ إن أكثر الذين كتبوا فيها لم يوفوا هذه المصطلحات حقها من العناية والتحقيق، وكثيراً ما تهرَّب الكتّاب المصريون

من ترجمة بعض المصطلحات الفنية الدقيقة، أو خلطوا بين ترجمة البعض منها، كالنحت والحفر، والدهان والطلاء، والرسم والتصوير، والتكفيت والتطعيم."[1]

2 - معاجم خاصة، كمعجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين للدكتور عفيف البهنسي، الذي عمل على استخلاص ألفاظ هذا الفن ومفاهيمه ومصطلحاته مما تيسر من بعض متون الكتب العربية والمؤلفات الإسلامية.

3 - معاجم عامة خاصة، كمعجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية للدكتور عاصم محمد رزق، الذي عمل عليه من خلال التوفيق بين الأساس اللغوي العربي لألفاظ هذا المعجم ومصطلحاته وبين أفقها الموضوعي في هذا المجال المعرفي الخاص والمتميز.

ثالثاً: فرضية البحث وقاعدته النظرية

وتنطلق هذه المقاربة في تناول هذا الموضوع من نظرية اللغة المعرفية القائمة على العلاقة العضوية الحميمة بين اللغة العربية والفن الإسلامي. وتستند هذه العلاقة -بشكل أولي- إلى الحقائق الآتية:

---

(1) ديماند، م. س. **الفنون الإسلامية**، ترجمة: أحمد محمد عيسى، القاهرة: دار المعارف، ط4، 1982م، ص2.

1 – اللغة العربية لغة القرآن الكريم والدين الحنيف، والمعرفة الكلية والثقافة الأساسية والقيم العامة في العالم الإسلامي؛ إذ تدخل هذه اللغة في لغات أغلب الشعوب الإسلامية وثقافاتها الخاصة. ويقدَّر عدد لغات هذه الشعوب التي استعارت أنظمتُها الكتابية الخطَّ العربي؛ بأكثر من مائة وتسعة وعشرين لغة.[1]

2 – اللغة العربية ذات تأثير كبير في الفن الإسلامي، يتمثل في تنظيم المتغيرات الإيقاعية لهندسة الشكل في الفن الإسلامي، وفي تقويم الإتقان الفاضل لكل عنصر من عناصر هذا الفن الزخرفية؛ النباتية والهندسية، فضلاً عن صور الخط العربي الحاملة لكلمات القرآن الكريم، وحقيقتها الإلهية المتعالية بفكرة التوحيد المجردة عن الشكل، الذي يجعل الفن الإسلامي رمزاً لغوياً معرفياً ظاهراً لتجليات الوحدة الإلهية.[2]

3 – اللغة العربية لغة الفن الإسلامي الأولى، والأم الجامعة لكل الألفاظ والمصطلحات والمفاهيم المتعلقة بموضوعاته الفلسفية والجمالية والإبداعية، وغيرها.

---

(1) بنبين، أحمد شوقي. ما المخطوط؟، **مجلة دعوة الحق**، الرباط، وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، س45، عدد337، ماي/يونيو 2004، ص33.

(2) بيركهارت، تيتوس. **تأثير اللغة العربية على الفنون البصرية في الإسلام**، ضمن: **مقالات في الفنون الإسلامية**، مرجع سابق، ص111.

رابعاً: نشأة المصطلح الفني الإسلامي وتطوره

أدى عصر النهضة الأوروبية وحركته العلمية في التعرف على ثقافة الانسان وحضارة المجتمعات في العالم إلى انبثاق التفكير المنهجي في الموضوعات الفلسفية، المتعلقة بالأحاسيس والمدركات الإنسانية لكل ما يتعلق بالصور المسموعة والمبصَرَة والمتخيلة، ولكل ما يصدر عنها من أشكال التعبير ومضامينه الإبداعية، إلى صيرورة (الجمال) موضوعاً أثيراً لمجال جديد في المعرفة الإنسانية، هو أقرب ما يكون اتصالاً بالدين، وانتماءً إلى الفلسفة، وتمثلاً لصورة العلم المنهجية التي ربما شكلت -من حيث التصنيف المعرفي على الأقل- مفهوم (الفن) المتميز نوعاً ما عن مفهوم كل من العلم نفسه، والأدب إلى حد ما، وذلك في المجال المعرفي الذي بدأ يتشكل منذ منتصف القرن السابع عشر الميلادي، باسم (علم الجمال) أو (فلسفة الفن).

وتبعاً لكل هذه المغيرات الجديدة، فقد تأثر الفن، وبدأ الفنانون رحلة استطلاع وإبداع، من خلال ما يسمى بـ (الفن الحديث) بمختلف اتجاهاته وآفاقه. وظهرت نظريات جديدة للجمال والتقييم الجمالي، تتناسب مع المفاهيم الجديدة للفن في محيطه الجديد؛ إذ إن هذه النظريات الجمالية الجديدة تعبِّر عن التطور التاريخي لهذا المجال المعرفي الجديد، من خلال نظريات الجمال القديمة والحديثة، التي

تشمل:[1] الجمال الحسي، والجمال العاطفي، والجمال الفكري (التجريدي والوظيفي)، والجمال الروحي، والجمال التشكيلي.

وبدافعٍ من فكر النهضة الأوروبية المادي القائم على العلم والتكنولوجيا ورأس المال في الإنتاج الصناعي والإبداع الثقافي والاكتشاف الحضاري في العالم الجغرافي والطبيعي والإنساني، صار هذا المجال المعرفي الجديد مظهراً من مظاهر التطور التاريخي لثقافة الإنسان وهويته، وشكلاً من أشكال رقيه الحضاري، وسمة بارزة من سمات حركة الحداثة الثقافية والحضارية والمعرفية الإنسانية، وركيزة حيوية من ركائزها الأساسية، التي تعكس درجات الوعي الفكري، المتعلق بالوجود والكون والرؤية الإنسانية، إلى التاريخ والحياة والمصير.

ولكن هذا الفكر الغربي شكّل لدى أغلب شعوب الأرض، ومنها شعوب الشرق العربية والإسلامية بخاصة، أقوى التحديات الحضارية والثقافية من القادم الأوروبي لهويتها الفكرية وتقاليدها الاجتماعية. وربما كانت هذه التحديات أكبر من طاقة الشعوب على تحملها ومواجهتها والتعامل الإيجابي معها، فأثّرت الوافدات الحضارية الأوروبية، من الصناعات والعلوم والآداب والفنون والتقاليد الغربية، في البنى الاجتماعية لأغلب هذه الشعوب الشرقية،

(1) عدرة، غادة المقدم. **فلسفة النظريات الجمالية**، بيروت: جروس برس، ط1، 1996م، ص28.

بعامّة، فضلاً عن تأثيراتها الكبيرة في الثقافة العربية والإسلامية الحديثة والمعاصرة، بخاصة.

وكان من الملامح الأولى والمهمة لهذا التأثير الحضاري والثقافي والعلمي الأوروبي في الوعي الإسلامي بعامة، والوعي العربي منه بخاصة، تحولاتُ المفهوم الإسلامي العربي لكل من مصطلحَي (الحضارة) و (الثقافة) من جهة، ولمصطلح الفن من جهة أخرى متعلقة معرفياً بالجهة الأولى. فقد تحول المعنى في لفظة الحضارة، مثلاً، من مجرد المكوث والتوطن والاستقرار وغير ذلك من مظاهر الحضور الأخرى، إلى المكان والتحضر فيه، التي اعتدنا على توكيد معانيها في معاجم اللغة العربية، إلى مفهوم أوسع من حيث المعنى والدلالة السياقية المرتبطة بأسلوب حياة عام في أبعاده الشخصية والاجتماعية والسلوكية والفكرية والاقتصادية والسياسية والعمرانية وغيرها، من كل ما يدل على حداثة الإنسان الفكرية، ورقيه الاجتماعي، ورفاهيته المعيشية. وقد جاء هذا المفهوم الجديد إلى المعرفة العربية والإسلامية الحديثة والمعاصرة من ترجمة مصطلحَي (Civilization) و(Culture) إلى اللغة العربية،[1] وما يتعلق بهما دلالياً من الاختراعات والصناعات والتقاليد والعلاقات والحركات والتنظيمات، والتقنيات والأساليب والوسائل والأفكار والنظريات والتعبيرات، وكل مظاهر الإبداع الإنساني المادية والمعنوية.

(1) عارف، نصر محمد. **الحضارة-الثقافة-المدنية؛ دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم**، هيرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1994م، ص45.

وقد اقترن بهذا التحول الواضح في المعرفة العربية والإسلامية الحديثة والمعاصرة تحولٌ معرفي للفظة الفن من معانيها اللغوية القديمة المتمثلة في الحال العام والمطلق، وفي الجنس والنوع والضرب[1] الخاص والمحدد من الأشياء والصناعات والمجالات الفكرية والعلمية والأدبية، وغير ذلك من مظاهر الإبداع الإنساني بلا استثناء، نحو محاولات البناء العلمي الجديد لمفهوم الفن مصطلحاً معرفياً محدد الدلالة على المجال الجمالي، من خلال ترجمة مصطلح (Art) الأجنبي إلى مفردة الفن العربية.[2]

وربما كان مصطلح الفن ومفهومه اللغوي والثقافي الخاص المختلف عن مفاهيم العلم والأدب والصناعة من أكبر التحديات الحضارية والثقافية والعلمية، التي واجهها الوعي العربي الإسلامي في القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي؛ قرن التفاعلات الكبرى بين العالم الإسلامي والغرب الأوروبي، وهو قرن التحولات العميقة للثقافة الإسلامية نحو الثقافة الغربية، فقد جرت أعمق التحولات الفكرية واللغوية والمفهومية في بنية الثقافة الإسلامية الحديثة والمعاصرة تجاه العديد من المستجدات الناشئة في المجتمعات الإسلامية، ومنها: المجتمعات العربية، بسبب بعض

(1) ابن منظور، محمد بن مكرم. **لسان العرب**، بيروت: دار صادر، 1956م، ج6، ص3476.

(2) حنش، إدهام محمد. **الخط العربي وإشكالية المصطلح الفني**، حلب: دار النهج، ط1، 2007م، ص27.

العوامل الناعمة المتمثلة كالعلم والتعليم، والمثاقفة Acculturation والترجمة، التي كان لها الدور الفاعل في بلورة وعي إسلامي حديث، وفي بناء مفهوم عربي جديد لمعنى الفن وقيمته المعرفية، المتمثلة في الجمال والإبداع والتذوق، وغير ذلك مما له علاقة بإحساسات النفس وشعورها الإنساني.

وربما كان الأديب المصري رفاعة رافع الطهطاوي (ت1290هـ/1873م) أول من نقل من الثقافة الفرنسية إلى الثقافة العربية الإسلامية فكرة أن" الإفرنج قسموا المعارف البشرية إلى قسمين: علوم وفنون، فالعلم هو الإدراكات المتحققة بطريقة البراهين، وأما الفن فهو معرفة صناعة الشيء على حساب قواعد مخصوصة."[1]

ولكن الطهطاوي –مع زملائه المشتغلين بالترجمة– في (مدرسة الألسن ـ تأسست عام 1254 هـ/1839م) التي كان يرأسها –لم يعدموا الصلة المعرفية بين (العلم) و (الفن)، وبالتالي لم يقيموا قطيعة لغوية أو دلالية بين الاثنين على أساس المفهوم أو التعريف أو الاصطلاح الخاص بكل منهما، فقد ظلت، –عند هؤلاء الألسنيين المترجمين– إمكانية دلالة (الفن) على (العلم)، ودلالة (العلم) على (الفن)، إلى حد ما. ويمكن أن نلاحظ ذلك– على سبيل المثال لا الحصر– في الكتاب الذي ترجمه فريق من العاملين في هذه المدرسة، تحت

(1) الطهطاوي، رفاعة رافع. **تخليص الإبريز في تلخيص باريز**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993م، ج2، ص266.

إشراف الطهطاوي نفسه- من اللغة "الفرنساوية إلى العربية" بعنوان: (كشف رموز السر المصون في تطبيق الهندسة على الفنون).

وكان هذا الكتاب" كتاباً في تطبيق الهندسة والميكانيكة [هكذا] على الحرف والصنائع والفنون المستظرفة" كفن المعمار وعلم المباني، وعلمي الجغرافية والهيئة، وصناعة أو عمارة السفن، وعلم النور والضوء والظلال والكسوف، وفن النجارة والنحت والطبع والتبغرافيا، لاسيما وأن "مدرسة الألسنة [هذه] حائزة من كل فن أحسنه" كما ورد في مقدمة الكتاب.

وفي هذا السياق انفتح باب التطورات المفهومية والمصطلحية المتعلقة بوعي الجمال والفن؛ الحاصلة نسبياً، في الثقافة العربية والإسلامية التي صارت تتداول، بشكل شبه اصطلاحي، تركيبات اسمية وتعبيرات لغوية محددة المعنى والدلالة، مثل:[1] (الفنون النفيسة)، و(الفنون الراقية)، و(الفنون الفتانة)، وآخرها (الفنون الجميلة)، الذي ربما كان الأديب أحمد فارس الشدياق (ت 1304 هـ/1887م) أول من أطلقه.

وكانت التحولات الفكرية والثقافية العربية والإسلامية؛ النظرية والعملية، نحو المفاهيم الحضارية الجديدة التي بدأت تنتشر -بشكل متفاوت- في ما بين شرق العالم العربي وغربه -ظاهرة اجتماعية

(1) داغر، شربل. "قواميس الفن ومقارباته"، **مجلة الصورة**، الشارقة، دائرة الثقافة والإعلام،العدد1، 2004م، ص83.

شبه عامة، تصدت النخب الدينية والعلمية والثقافية لمواجهتها معرفياً من خلال التأصيل الشرعي، والتوطين الحضاري، فضلاً عن التكييف اللغوي لأغلب الوافدات الحضارية الجديدة من الأشياء والتقنيات، والأساليب والمفاهيم الغربية الحديثة، على المجتمعات العربية والإسلامية.

فمن جهة التأصيل الشرعي، واجه (فقه النوازل) -على سبيل المثال لا الحصر- بعض هذه الوافدات الحضارية الجديدة، التي كان منها -على سبيل المثال لا الحصر- (الفن)، تعبيراً عن الرسم والتصوير والغناء والتمثيل المسرحي وغير ذلك من المظاهر الإبداعية الناشئة في المجتمع. وقد حاول هذا الفقه تبديد حيرة الناس في التعامل الشرعي مع هذه الأشياء الوافدة بجدل متباين بين الحرام والحلال، وربما كانت مسألة (التصوير الفوتغرافي) من أبرز هذه الوافدات الحضارية الغربية إلى المجتمع العربي والإسلامي، التي حظيت بفتوى الإباحة والقبول.[1] وقد ساهم هذا الفقه المقاصدي من خلال فتاواه الشرعية في التوطين الاجتماعي لما كان يطلق عليه (الفنون الجميلة)، التي ربما كان الشيخ محمد عبده (ت 1322 هـ/1905م) أول من دعا إلى قبولها وإشاعتها في المجتمع،[2] وفي

(1) المطيعي، محمد بخيت. **الجواب الشافي في إباحة التصوير الفوتغرافي**، القاهرة: المطبعة الخيرية، 1302هـ، ص13. والمؤلف (ت 1353 هـ/1935م) وهو مفتي الديار المصرية للأعوام 1332هـ/1914م-1339هـ/1921م.

(2) عبد الرازق، مصطفى. **الشيخ محمد عبده والفنون الجميلة**، القاهرة: مجلة الفنون، 1924م، ص23.

التوطين اللغوي لكثير من ألفاظ تلك الوافدات الحضارية الجديدة ومفاهيمها كالتلفون والتلغراف والفوتغراف والطاموبيل والفونغراف والراديو والإصطنبا والسبتاكل والاوبرا والبنك وغيرها، في الثقافة الإسلامية.[1]

وساهم المتعلمون والمثقفون والكّتاب في توطين بعض هذه الوافدات الغربية من الصناعات والآداب والتقاليد والملابس، وغير ذلك من الآلات والمواد والمظاهر في المجتمعات العربية والإسلامية، بوصف هذه الوافدات معايير ودلائل على رقي هذه المجتمعات وتطورها الحضاري، وذلك من خلال وسائل تحديث التعليم المتاحة، ومن خلال الحوارات والنقاشات والسجالات الدائرة في الصالونات الخاصة والمقاهي، ومن خلال تأليف الكتب ونشر المقالات في الصحف والمجلات ووسائل الإعلام الأخرى؛ إذ تمت من خلال ذلك كله على الأقل، مقاربات لغوية وأسلوبية واصطلاحية غير مباشرة لهذه الوافدات في لغة المجتمع العامة، فضلاً عن لغتنا العربية الفصحى. ومن أبرز ما أنجزه المثقفون العرب الرواد على صعيد مسائل الفن ومصطلحاته هو تحديد الطبيعة المعرفية للفن بين الحضارة والثقافة، فذهب سلامة موسى (ت 1377 هـ/ 1958م) -الذي كان أول من أفشى لفظ الثقافة في مقابل اللفظ الأجنبي

(1) السعيدي، أحمد. **الفقيه والصورة: قراءة في (القول المحرر في اتخاذ الصور) لمحمد بن عبد الكبير الكتاني (ت 1326 هـ/1909م)**، ضمن: **ثقافة الصورة**، الأردن: جامعة فيلادلفيا، 2007م، ص234.

culture– إلى ربط الفن بالثقافة أكثر من الحضارة، على أساس أن الحضارة مادية وأما الثقافة فذهنية.[1] وكان للأديب توفيق الحكيم (ت 1407 هـ/1987م) مثلاً دور مماثل لهذا الدور، لكن في تحديد الطبيعة المعرفية لفن المسرح من حيث وضع مصطلحه الجديد في اللغة العربية، ومن حيث ترسيخه في الثقافة العربية الحديثة.[2]

أما المقاربات اللغوية والأسلوبية والاصطلاحية المباشرة لهذا الموضوع فتمّت من خلال جهود علماء اللغة ومجامعها العلمية الرسمية، التي حاولت تكييف كثير من تلك الألفاظ والمصطلحات والمفاهيم الحضارية الغربية الحديثة للسان العربي –على الأقل– وحاولت تبكير العمل الاصطلاحي في التصدي لهذه الظاهرة، ودراستها في إطار الثقافة اللغوية العربية، التي عالجت كل ما يتعلق بتلك الألفاظ والمصطلحات والمفاهيم الحضارية والفنية من التحولات اللسانية بين الوضع والتعريب والترجمة والتصنيف والمعجمة.

وهذه المحاولات المبكرة لمثل هذه الدراسات اللغوية في الألفاظ والمصطلحات والمفاهيم المتعلقة بالفن الإسلامي، كانت قد بدأها الأديب العلامة أحمد تيمور باشا (ت 1348هـ/1930م)،

---

(1) عارف، **الحضارة–الثقافة–المدنية؛ دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم**، مرجع سابق، ص27.

(2) الحكيم، توفيق. **قالبنا المسرحي**، القاهرة: دار مصر للطباعة، ط1، 1967م، ص12.

الذي يمكن عدّه أول الباحثين العرب المحدثين، الذين حاولوا دراسة ألفاظ الحضارة وتاريخ الفن الإسلامي، فقد كتب أحمد تيمور أكثر من كتاب في هذا الموضوع، من أبرزها كتابه الرائد (التصوير عند العرب)[1] الذي يعد رائداً في مجاله، وذا قيمة علمية كبيرة من حيث احتواؤه على العديد من الألفاظ والمصطلحات والمفاهيم العربية المتعلقة بفن التصوير الإسلامي مثل: التذهيب، والتزميك، والتكفيت، وخيال الظل، وطيف الخيال، وغير ذلك من مثل هذه الألفاظ والمصطلحات الفنية الإسلامية الخالصة.

وتعود الجهود العلمية الأولى، التي مهدت لتأسيس معجم مصطلحات الفن الإسلامي، إلى الباحث اللغوي والأديب بشر فارس (ت 1382 هـ/1963م) الذي كان أول الباحثين اللغويين العرب المحدثين، وأكثرهم عناية بدراسة المصطلحات الفنية الإسلامية، وأكثرهم انشغالاً بتأصيلها اللغوي الهادف إلى بناء لغة الفن الإسلامي على ألفاظها التاريخية العريقة في الاختصاص، وذلك من خلال تقديمه العديد من الإسهامات اللغوية، التي يمكن عدّها لبنات أولى وتأسيسية لما يمكن أن نسميه (علم المصطلح الفني الإسلامي).

ومن أهم الأعمال التي قدمها بشر فارس في هذا المجال، على سبيل المثال لا الحصر:

---

(1) نشر هذا الكتاب عام 1361هـ/1942م، بتحقيق ودراسة وتعليق: الدكتور زكي محمد حسن.

- بحث مختصر نشره في مجلة مجمع اللغة العربية الملكي، في مصر عام 1353 هـ/1935 م، بعنوان:(في اصطلاحات الموسيقا والفلسفة).
- كتابه الموسوم بـ: (اصطلاحات عربية لفن التصوير).[1]
- مسرد عربي –فرنسي بأكثر من ثمانين مصطلحاً في فن التصوير، وضعه في خاتمة كتابه عن (سر الزخرفة الإسلامية).[2]
- (الفن القدسي في التصوير الإسلامي الأول).[3]

ومع هذا فإن كل تلك الجهود العلمية المصطلحية الرائدة التي كانت تبذل وتقر وتنشر في إطار (مجمع اللغة العربية في القاهرة)،[4] لم ترق إلى تحركات هذا المجمع اللغوي نحو الاهتمام العلمي بموضوع (لغة الفن الإسلامي)، إلى مستوى الجهد المعرفي الذي بذله العلماء المسلمون القدامى في معالجة المصطلح الفني الإسلامي، من خلال كتاباتهم عن الجمال من منظور إسلامي، وعن مختلف أجناس الفن الإسلامي، فعلى سبيل المثال لا الحصر:

قدم الفارابي (ت 339 هـ/950م) العديد من التعريفات الفنية المتعلقة

(1) منشورات المجمع العلمي المصري، القاهرة، 1948م.
(2) منشورات المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1952م.
(3) مطبعة مصر، القاهرة، 1955م.
(4) أنشىء في مصر عام 1309هـ/1892م؛ أول مجمع لغوي في العالم العربي باسم (المجمع اللغوي للوضع والتعريب) الذي كان قد تحول فيما بعد إلى مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

بالموسيقى والتصوير مثل:" الألحان المُلذة، وهي التي تكسب النفس لذة وراحة، دون أن يكون لها صنع آخر في النفس. والألحان المتخيلة، وهي التي تفيد النفس مع تلك التخيلات وتوقع فيها تصورات أشياء، وحالها في ذلك حال التزاويق والتماثيل المحسوسة بالبصر. والألحان الانفعالية، وهي التي تحدث الانفعالات، فهي إما مُزيدة لها أو مُنقصة منها. والألحان الغنائية، وهي غريزة طبيعية في طلب اللذة أوالتخيل أوالانفعال، وهذه هي غايات الألحان."[1]

وكذلك فعل ابن سينا (ت 370هـ/980م) في تقديماته المصطلحية المتعلقة بما سماه (جوامع علم الموسيقى) في فصل خاص من كتابه (الشفاء). وقد تمثلت هذه الجوامع في شرحه للعديد من الألفاظ والمفاهيم والمصطلحات المتعلقة بالألحان والأنغام والآلات الموسيقية الموسيقية مثل: (الأبعاد) و(الجموع) و(الإيقاع) وغيرها.[2]

وكذلك قدم أبو حيان التوحيدي (ت 414 هـ/1023م) العديد من الألفاظ المؤسسة للغة فن الخط العربي المعرفية بعنوان (معاني

(1) الفارابي، أبو نصر محمد بن طرخان. **كتاب الموسيقى الكبير**، تحقيق: غطاس عبد الملك خشبة، القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ط1، 1967، ج5، ص179.

(2) ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله. **جوامع علم الموسيقى**، ضمن: فارمر، هنري جورج. **تاريخ الموسيقى العربية حتّى القرن الثالث عشر ميلادي**، ترجمة: جرجيس فتح الله المحامي، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 1972م، ص412.

الخط: التحديق، والتحويق، والتخريق، والتعريق، والتشقيق، والتنسيق، والتوفيق، والتدقيق، والتفريق).[1]

وربما كان مسكويه (ت 421هـ/ 1030م) من أوائل المؤرخين الذين تحدثوا عن التجارب الإبداعية لبعض الفنانين المسلمين في مجال ما سماه: (علم التصاوير)[2] الذي كان معروفاً في التراث الفني الإسلامي بمصطلحات أخرى مثل: (التزويق أو الزواقة)[3] الذي هو (صناعة المصورين) عند إخوان الصفا[4] (ق 3 هـ/ 9م) مثلاً.

وقدم الغزالي (ت 505هـ/ 1111م) تصنيفاً معرفياً لفكرة الجمال يقوم على المفاهيم الآتية:[5] (الجمال الحقيقي) و(الجمال الطبيعي) و(الجمال الإنساني)، وغير ذلك من المفاهيم المصنفة لأنواع (الجمال الباطن) و(الجمال الظاهر)، ومراتب إدراكهما بالبصيرة أو البصر، بما يجعل من موضوعات الجمال والفن وألفاظهما الخاصة

(1) التوحيدي، أبو حيان. **رسالة في علم الكتابة**، تحقيق: إبراهيم الكيلاني، دمشق: المعهد الفرنسي، 1951م، ص32.

(2) مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب. **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، تحقيق: سيد كسروي حسن، بيروت: دار الكتب العلمية، 2003م، ج6، ص282.

(3) ابن رشد الأندلسي، محمد بن أحمد. **تلخيص كتاب الشعر**، تحقيق: تشارلز بترورث، وأحمد عبد المجيد هريدي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982م، ص71.

(4) إخوان الصفا. **رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا**، بيروت: دار صادر، ط1، د.ت، مج1، ص289.

(5) الغزالي، أبو حامد. **إحياء علوم الدين**، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط1، 1939م، ج2، ص280.

نواة التأسيس المعرفي والمصطلحي لعلم الجمال الإسلامي.

وإذ يمكن أن تكون كتابات هؤلاء العلماء عن موضوعات الجمال والفن وألفاظهما المعرفية الخاصة والمتميزة مصادر أساسية لتأصيل معالجات مجمع اللغة العربية ومقرراته اللغوية والاصطلاحية، المتعلقة بمفهوم كل من (الفن الإسلامي) و(العمارة الإسلامية) وحدودهما المعرفية.. فإنه يمكن القول إنّ التحركات المبكرة والمتواضعة لمجمع اللغة العربية في هذا المجال، لم تكن جادة وواثقة النظر اللغوي والمعرفي في ألفاظهما الاصطلاحية، فعلى الرغم من إمكان اعتبار (معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون)[1] هو المعجم العربي الأول من الناحيتين العلمية المحكمة، والاعتماد الرسمي الأوسع في ما يتضمنه هذا المعجم من مصطلحاتٍ في كل من (فن التصوير)، و(مذاهب الفن الحديث)، و(فن النحت)، و(فن المرسومات)، و(فن الخزف)، فضلاً عن قرارات مجمع اللغة العربية في القاهرة عن (مصطلحات في العمارة الإسلامية) المنشورة في سياق الألفاظ والمفاهيم المتعلقة بالحضارات القديمة كالإغريقية واليونانية[2] مثلاً، بالرغم من كل هذا فإن (الفن الإسلامي) ما زال محكوماً في لغته المعرفية بكثير من المفاهيم والمصطلحات الأجنبية والغربية والمعربة، الوافدة على ثقافة هذا الفن العلمية والتاريخية،

(1) صدر هذا المعجم سنة 1980م، عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.

(2) الصادرة في عام 1390هـ/1971م.

وهو ما يدل على أن هذا المجمع، ومؤسسات علمية أخرى، وكثيراً من اللغويين والباحثين العرب المحدثين والمعاصرين لم يلتفتوا كثيراً، إلى دراسة لغة الفن الإسلامي دراسة علمية ولغوية، واسعة وعميقة، يمكن أن تحررها من بعض مظاهر التغريب الاستشراقية؛ وتبعث فيها حقائق التعريب اللغوية على الأقل.

خامساً: دور الترجمة في نشأة المصطلح الفني الإسلامي

كانت محاولات التأصيل اللغوي والمعرفي لهذه الألفاظ والمصطلحات والمفاهيم متواضعة جداً، وخجولة في تعاطيها مع المعجم العربي اللغوي والاصطلاحي للفن الإسلامي، فدار أغلب محاولاتها التعريبية في إطار التغريب الثقافي، بوصفه عنوان الحداثة والمعاصرة، فضلاً عن الحضارة التي انصبت عناية اللغويين والمثقفين العرب المحدثين على ألفاظها ومصطلحاتها ومفاهيمها العربية الإسلامية والأجنبية الغربية على حد سواء، مما صار يتداول في أوساط العلماء؛ اللغويين وغيرهم من الباحثين في الآثار والفنون والعمارة والصنائع الإسلامية، بوصفها مجالاً معرفياً وليداً، وتخصصاً أكاديمياً جديداً، وتحدياً ثقافياً ولغوياً من تحديات الحضارة الغربية الحديثة، التي حركت البيئة الثقافية العربية والإسلامية نحو التفكير العلمي في تأصيل المصطلح الفني الإسلامي ومعجمته المنهجية.

وإذا كان منهج بشر فارس في التعامل مع مصطلحات الفن الإسلامي الأجنبية تأصيلياً، يتمثل -على العموم- في الرجوع إلى

التراث اللغوي العربي؛ المعجمي والأدبي، فإن التحديات اللغوية والإشكاليات الثقافية الكبيرة التي واجهتها هذه المصطلحات، تتمثل -على العموم- في الترجمة، التي عكست جانباً آخر من تلك التحديات اللغوية؛ التعبيرية والتوصيلية؛ التي لا تزال ظلالها الثقيلة ملقاة على مسارات البحث والتأليف والتعليم والثقافة، المتعلقة بألفاظ الفن ومصطلحاته الواردة في الدراسات الأجنبية للآثار والعمارة والفنون الإسلامية؛ إذ نجد أغلب هذه الدراسات تصنف (الفن الإسلامي) إلى فرعين كبيرين، هما:

1 - الفنون الكبيرة أو الرئيسة، كالعمارة وما يتعلق بها من النحت والفسيفساء والتصوير الجداري والنقوش الزخرفية الخشبية والجصية وغيرها. وقد قيل إن العمارة هي أم الفنون، لكن ثمة رأي يقول بأن الفنون الأخرى تتفوق على العمارة في القدرة على تحقيق التعبير الذي يجسد الفكرة مباشرة، لأن التعبيرات في فن العمارة غير مباشرة وغير كاملة الوضوح، فهو فن رمزي، في حين أن فنون المسرح والنحت والتصوير، يمكن أن تعبر عن الفكرة بطريقة مباشرة. ويصف الفيلسوف (هيجل، Hegel ت1831م) فن العمارة بأنه أثقل الفنون وأكثرها صمتاً، لأنه يتشكل حسب قوانين الوزن والثقل.[1]

(1) بسطاويسي، رمضان. **جماليات الفنون**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1998م، ص319.

2 – "الفنون الصغرى أو ما قد يطلق عليه الفنون التطبيقية أو الآثار المنقولة،"[1] و"تضم صناعات التحف المعدنية والخشبية والخزفية والزجاجية وتزويق المصاحف والمخطوطات وزخرفتها والفسيفساء والكتابات الأثرية."[2] ولكن المصطلح الأول والأشهر لهذه الفنون هو (الفنون الفرعية الإسلامية)، الذي ربما كان الدكتور زكي محمد حسن أول من ترجمه إلى اللغة العربية، وفي ذلك يقول: "الفنون الفرعية هي الترجمة التي استخدمناها حتى الآن للمصطلحات الأوربية Minor Arts بالإنكليزية، وArts Mineure بالفرنسية، و Kleinkunst بالألمانية. وقد يمكن أن نسميها: الفنون الصناعية أو الفنون التطبيقية، كما تعرف أحياناً باسم الفنون الزخرفية. والمقصود بها على كل حال هو الفن في الأشياء المنقولة التي ينتفع بها أو تتخذ للزينة والزخرف. ولكن الواقع أن هذا التقسيم غامض إلى حد كبير، فبعض مؤرخي الفنون يدخلون السجاد مثلاً في الفنون الفرعية، والبعض الآخر يخرجونه عنها."[3]

---

(1) الريحاوي، عبد القادر. **تقييم البحوث الأجنبية في الآثار الإسلامية**، ضمن: **الآثار الإسلامية في الوطن العربي**، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ط1، 1985م، ص87.

(2) النتشه، يوسف سعيد. **الفنون الزخرفية والمعمارية لفلسطين الإسلامية**، ضمن: **الحج، العلم، الصوفية: الفن الإسلامي في الضفة الغربية وغزة (متحف بلا حدود)**، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2004م، ص59.

(3) بريجز، كريستي أرنولد. **تراث الإسلام في الفنون الفرعية والتصوير والعمارة**، ترجمة: زكي محمد حسن، سورية: دار الكتاب العربي، ط1، 1984م، ص9، هـ1.

وفي هذا السياق، لا بد من الإشادة بدراسات الترجمة التي قام بها الباحث الآثاري أحمد محمد عيسى لبعض مصطلحات الفن الإسلامي في أحد أوائل الكتب التاريخية الغربية وأكثرها علمية عن هذا الفن، وهو الكتاب الذي ألَّفه باللغة الإنكليزية، أمين المجموعات الفنية الإسلامية في متحف المتروبوليتان في نيويورك لمدة أكثر من ثلاثين عاماً؛ الدكتور (م. س. ديماند)؛ بعنوان:(A Handbook of Muhammadan Art)، فالقيمة العلمية الأكبر لهذه الترجمة تكمن في تجاوز التحديات اللغوية التي واجهها موضوع نقل مصطلحات الفن الإسلامي من الإنكليزية إلى العربية.

وكان منهج هذا الباحث المترجم في عمله العلمي هذا، يقوم على اختيار الألفاظ العربية الأقرب؛ معنى وشيوعاً، إلى تلك المصطلحات الإنكليزية، حتى لو كانت هذه الألفاظ العربية ألفاظاً عامية "مما يجري على ألسنة أهل الصنعة، رغبةً في تحديد معاني الكلمات العربية من ناحية الفن أو الصناعة، وحتى لا يكون لكلمة واحدة بالإنكليزية أكثر من مقابل واحد بالعربية."[1]

وقد استخرج هذا الباحث المترجم أول قاموس صغير لألفاظ اعتقد هو بأنها مصطلحات خاصة بالفن الإسلامي، ووضع لها مقابلاً عربياً، وألحقها بترجمته لكتاب ديماند هذا، بهدف الوصول مستقبلاً إلى "تقرير معجم ثابت صحيح لمصطلحات الفنون الإسلامية ".

(1) ديماند.**الفنون الاسلامية**. مرجع سابق.ص13

وبعد ما يقارب من أربعة عقود، طور الباحث المترجم قاموسه الصغير؛ إذ زاد عليه ألفاظاً فنية أخرى استخرجها من ترجمته لكتاب آخر هو (فنون الترك وعمائرهم، للدكتور أوقطاي أصلان آبا)،[1] حتى اجتمع له أكثر من (1400) مصطلح في شتى مجالات العمارة والفنون والصنائع الإسلامية، فأصدرها في أول معجم خاص ورائد في تخصصه، بعنوان (مصطلحات الفن الإسلامي).[2]

سادساً: نشأة مصطلحات (الفن الإسلامي)

ظهر مصطلح (الفن الإسلامي) بوضوح، وعلى نطاق واسع، وعلى درجة من النضج والاستواء المعرفيين موضوعاً من موضوعات الثقافة الاستشراقية-الإسلامية في غضون القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين/التاسع عشر والعشرين الميلاديين؛ إذ أصبحت عبارة (الفن الإسلامي) مصطلحاً دالاً -إلى حد ما- على الآثار المعمارية العيانية والأعمال الفنية المتمثلة في المخطوطات والمصنوعات والتحف، وما شابه ذلك مما كان يخضع للتصنيف الثقافي لعلم المتاحف.

وربما كانت حاجة المتاحف الغربية الكبرى إلى التعريف بتلك الأعمال والآثار الفنية الإسلامية وتسويقها الثقافي قد أدت إلى تحول دلالي كبير في هذا المصطلح، من كونه يشير إلى

(1) إستانبول: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، 1987م.
(2) إستانبول: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، 1994م.

مجموعة collection من مجموعات هذه المتاحف الضخمة من تلك الآثار والأعمال الفنية الإسلامية، إلى صيرورته مصطلحاً آخر في دلالته على مجال معرفي يمكن تمييزه بسهولة في ضوء التصنيف المعرفي الحديث لمجالات الثقافة الإنسانية المختلفة نسبياً بين العلم، والأدب، والفن، الذي صارت هذه المجتمعات الإسلامية تقبله، بسبب هذا التثاقف، مفهوماً أكثر تعلقاً بالجمال والإبداع من أي شيء آخر، وصارت هذه المجتمعات تقبل (الفن الإسلامي) موضوعاً subject أساسياً من موضوعات ثقافتها الحديثة والمعاصرة.

ومن هنا، يمكن القول إنّ تسمية (الفن الإسلامي) هذه تعدّ أول الإشكاليات اللغوية والمعرفية، وأبرزها في البحث العلمي المتعلق بالفن الإسلامي؛ إذ لم تستقر تسمية هذا الفن العامة على حال معرفي واحد حتى اليوم، على الرغم من شيوعها المعاصر. وتعود جذور هذه الإشكالية إلى غضون القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي؛ إذ يمكن أن نتعقب من هنا المسار التاريخي والاصطلاحي لتسمية (الفن الإسلامي) على النحو الآتي:[1]

1 – في غضون الأعوام 1289 هـ/1873م ـ 1294 هـ/1878 م؛ صدر للباحثين جول برجوان Jules Burgoin، وبريس دو آفن Prisse D' Avennes كتابان باللغة الفرنسية؛ كلاً على انفراد، بعنوان (الفن العربي L' Art Arabe). ويبدو أنّ هذه

(1) الريحاوي، **تقييم البحوث الأجنبية في الآثار الإسلامية**، مرجع سابق، ص89.

التسمية كانت رائدة في تغطية الأعمال والآثار والتحف الفنية الإسلامية التي بدأت تنتشر آنذاك في أوروبا، وتحظى بعناية الدارسين والكّتاب والمؤرخين الذين تباينوا في النظر إلى هذا الفن وفي تسميته بين عناوين جديدة لكتبهم التي بدأت تظهر تباعاً.

2 – (الفن الساراسيني Sarascenic Art)، الذي اخترعه المؤرخ لاين بول Lane Pooles في كتابه (Handbook of Sarascenic Art) الصادر عام 1303 هـ/1886م؛ ولا بد من أن نذكر هنا أنّ هذه التسمية كانت خاصة واستثنائية في تاريخ البحث العلمي المتعلق بالفن الإسلامي، ولذلك لا قيمة معرفية لها في هذا السياق.

3 – (الفن المحمدي Mohammadan Art)، الذي كان أكثر شيوعاً من غيره منذ أواسط القرن التاسع عشر الميلادي، وصدرت تحت عنوانه بعض كتب الفن الإسلامي التي كان منها، على سبيل المثال لا الحصر– (العمارة المحمدية في مصر وفلسطين) الذي نشره مارتن بريكس Martin S. Briggs؛ في عام 1299هـ/1882م.

4 – (الفن المسلم): الذي جاء أول مرة في كتاب المستشرق والفنان الفرنسي المعروف باسم صلاح الدين M. Saladin؛ إذ كان هذا الكتاب قد صدر بعنوان: (Manuel de l' Art Musulman)؛ في عام 1324 هـ/1907م.

وكان لهذا الاستعمال الأخير أهميته الدلالية في تسمية هذا الفن، ودوره العلمي في التمهيد التدريجي لتحوله الواضح والمباشر إلى تسمية جامعة لكل من الفن والإسلام[1] في مركّب اصطلاحي بصيغة (الفن الإسلامي).

5 – (الفن الإسلامي) الذي ظهر، أول مرة، بوضوح، في حدود السنوات الأولى من القرن الرابع الهجري/العشرين الميلادي، وتحديداً في عام 1327 هـ/1910م، عندما أقيم أكثر من معرض للأعمال والآثار والتحف والصنائع الفنية الإسلامية، في أوروبا، تحت عنوان (الفن الإسلامي).[2]

ويمكن القول إن هذا المصطلح المركّب من الفن والإسلام[3] قد أصبح عنواناً معرفياً عاماً أو اسم جنس معرفياً لكل ما يدخل في إطار الصناعة الإبداعية الفنية والجمالية الإسلامية، وصار لذلك هو المصطلح الأكثر استقراراً في ما يطلق على أجناس هذه الصناعة وأنواعها المتعينة –بشكل رئيس– في إطار الثقافة البصرية الإسلامية،

---

(1) كتاب تيتوس بيركهارت Titus Burckhardt الصادر عام 1976 م، مترجماً من اللغة الفرنسية إلى اللغة الإنكليزية بعنوان: Art Of Islam: Language & Meaning.

(2) داغر، **الفن والشرق: الفن الإسلامي**، مرجع سابق، ج2، ص261.

(3) بغض النظر عن معنى كلٍ من الفن والإسلام على وجه الدقة اللغوية والقصد المعرفي لدى مؤرخي هذا الفن ودارسيه، الذين اختلفوا اختلافات كبيرة ومتناقضة أحياناً في معنى كل من الفن والإسلام اللذين يتركب منهما مصطلح (الفن الإسلامي).

التي ظلت تعاني من استيراد المصطلحات، وغربة المفاهيم، واضطراب الدلالات، وغير ذلك من المظاهر اللغوية والمعرفية لإشكالية التسمية العلمية الأساسية في موضوعات الفن الإسلامي المختلفة. ويمكن أن نشير، هنا بشكل عام، إلى بعض هذه المظاهر الإشكالية من خلال المسائل الآتية:

- غربة كثير من هذه الألفاظ والمصطلحات والكلمات المفتاحية، التي كانت من صنيع ما يمكن أن نسميه (علم الجمال الاستشراقي) ولغاته الأجنبية المتعددة التي اخترعت -تقريباً- أغلب العناوين العامة والخاصة لموضوعات (الفن الإسلامي)، بما فيها عنوانه الرئيس (Islamic Art)، على سبيل المثال لا الحصر.
- استعارة كثير من المفاهيم والمعاني والدلالات الخاصة بتفسير الألفاظ والمصطلحات الفلسفية والنقدية المتداولة في (معجم الفن الغربي)، للتعبير عن مسائل (الفن الإسلامي) وموضوعاته المختلفة، كما هو الحال في بعض المفاهيم الفنية، التي لم تكن الثقافة العربية الإسلامية تعرفها من قبل، ومنها -على سبيل المثال لا الحصر- مفهوم الـ (School) الفلسفي والنقدي، الدال على اتجاه فكري معين أو حركة فنية خاصة، فقد استخدم هذا المصطلح بتوسُّع في دراسات الفن الإسلامي الحديثة والمعاصرة، التي اعتادت الإسهاب في الحديث

عن (مدارس الخط العربي) وعن (مدارس التصوير الإسلامي) وعن غيرها من (مدارس الفن الإسلامي)[1] بعامة، على الرغم من أن اللغة العربية والثقافة الإسلامية اعتادت على مفهوم آخر لمصطلح (المدرسة) يتمثل في المؤسسة التعليمية.

- تغذية لغة الفن الإسلامي الحديثة والمعاصرة ببعض المصطلحات الفنية الغربية، التي منها على سبيل المثال لا الحصر- (Technique)، الذي ترجم إلى (الإخراج الفني)[2] عند دراسة كيفيات رسم الأشكال الزخرفية وغيرها.

- اضطراب الترجمة الدلالية لبعض المعاني والمفاهيم المتعلقة ببعض ألفاظ الفن الإسلامي ومصطلحاته الأجنبية عند نقلها إلى اللغة العربية، كما هو الحال -على سبيل المثال لا الحصر- في نقل مفاهيم مصطلحات مثل: (Decoration)، و(Ornamentation)، و(Illustration)، وغيرها.. نقلاً دلالياً إلى مصطلح عربي واحد اللفظ، وربما المعنى أيضاً، ألا وهو: (الزخرفة).[3]

---

(1) ديماند، **الفنون الإسلامية**، مرجع سابق، ص41-74؛ إذ يصنف المؤلف مدارس الفن الإسلامي إلى سبع مدارس فنية.

(2) فكري، أحمد. **المدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها**، القاهرة: دار المعارف، 1965م، ج1، ص171.

(3) ربما يعد الكتاب الفخم Grammar of Ornamentation الصادر عام 1868م، لمؤلفه المصمم والمهندس المعماري الإنكليزي أوين جونز Owen Jones (ت 1874م) أول المصادر الهندسية والفنية الحديثة التي تناولت الزخرفة الإسلامية.

- استعمال الألفاظ والمصطلحات الأجنبية المعروفة في اللغة العربية بـ (المعرَّب) بإفراط، إلى الحد الذي تبدو فيه لغة الفن الإسلامي المعرفية لغة أجنبية عن لغة القرآن والإسلام العربية، فضلاً عن صعوبة معرفتها على الوجه العلمي الدقيق. ومن أبرز الأمثلة على ذلك: بعض مصطلحات (فن الزخرفة الإسلامية) المعربة من اللغة التركية: (هاتاي Hatay) و(رومي Romi). ويظل (المقرنص)[1] هو المصطلح المعرب الأشهر في لغة الفن الإسلامي.

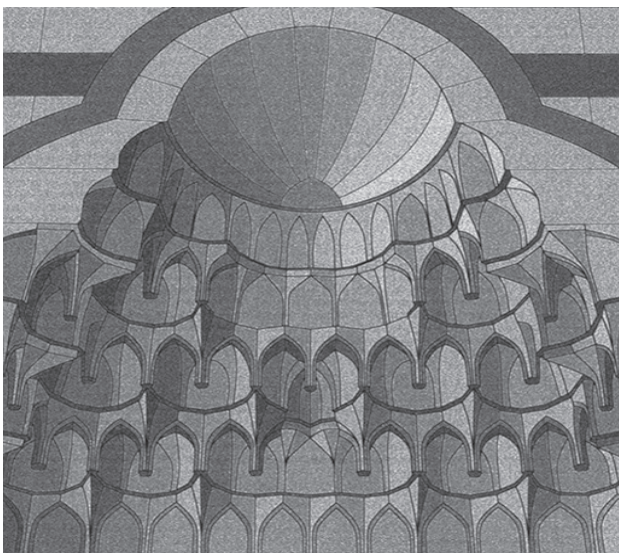

(المقرنص)

(1) في مشرق العالم الإسلامي، و(المقربص) في مغربه. انظر:
- مجمع اللغة العربية. **المعجم الوسيط**، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004م، ص731.

- لم يلتفت كثير من المعنيين بالفن الإسلامي إلى تأصيل ألفاظه ومصطلحاته، من خلال العودة إلى المعجم اللغوي والاصطلاحي العربي، أو من خلال إعادة الاعتبار إلى بعض الألفاظ والمفاهيم والمصطلحات الأجنبية ذات الأصل العربي الإسلامي إلى اللغة والمعرفة والثقافة والهوية العربية الإسلامية، كما هو الحال -على سبيل المثال لا الحصر- في لفظة الـ (Tawrique)،

(التوريق)

التي كانت قد انتقلت من اللغة العربية إلى اللغة الإسبانية، وصارت فيها مصطلحاً فنياً إسبانياً دالاً على" الزخرفة النباتية القائمة بشكل خاص على الوريقات والسعف"[1] وما ينشأ

(1) فكري، **المدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها**، مرجع سابق، ج1، ص178. يقول السيد سالم عبد العزيز: "إن كلمة التوريق هي نفسها كان يتداولها المؤرخون العرب، فالمقري يذكر شخصاً اسمه محمد بن أحمد، كان عالماً بصناعة التوريق، وإن ابن جبير يستعمل هذه اللفظة مع لفظة التشجير مؤدياً نفس المعنى الذي تقصده الكلمة الفرنسيةArabesque، وهو الزخرفة النباتية... وقد ورثت اللغة القشتالية هذه الكلمة، وما زال الإسبان يطلقونها على الزخارف النباتية ذات الطابع العربي". انظر:
- عبد العزيز، سالم. "بعض المصطلحات للعمارة الأندلسية المغربية"، **صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد**، إسبانيا: معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، 1957م، مج5، عدد1-2، ص242.

فنياً عن تحوير أشكالهما، فجرى إعادة هذا المصطلح إلى لغة الفن الإسلامي العربية بعنوان (فن التوريق).

سابعاً: الصناعة الغربية للمصطلح الفني الإسلامي

قبل ولادة مصطلح (الفن الإسلامي) وبعده، كانت هناك صناعة لغوية معرفية تشتغل على تسمية كل ما له علاقة بهذا الفن من الأعمال والآثار والنظريات والتقنيات والأساليب والأشكال والصور والرموز الفنية، وذلك من خلال اختراع الألفاظ والمصطلحات والمفاهيم الحديثة الدالة على ذلك كله، أو بعضه منه، في سياق الثقافة الفنية الغربية، التي كانت إحدى نتائج عصر النهضة الأوروبية وسماته الحداثية الأساسية، منذ القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلاي، عندما انطلقت فيه بواكير التسمية المعرفية للفن الإسلامي مع مصطلح (Arabesco) الموجود في اللغة الإيطالية في العام 1019هـ/1611م؛ إذ تذكر بعض المعاجم اللغوية التاريخية الأجنبية أن لفظة (Arab: عرب) هي النواة الصرفية والدلالية لهذا المصطلح الفني الجديد، الدال من حيث المعنى على التصميم الزخرفي العربي النباتي تحديداً، حتى بعد انتقاله إلى اللغات الأوروبية الأخرى، وبخاصة الفرنسية والإنكليزية والألمانية، التي استقر فيها جميعاً على صيغة (Arabesque).[1]

(1) Barnhart, Robert. **DICTIONARY OF ETYMOLOGY**, New York: CHAMBERS, 2005, p 47.

ويذهب بعض مؤرخي الفن الإسلامي كالمؤرخ الألماني المتخصص في تاريخ الفن الإسلامي (أرنست كونل Ernest Kuhnel) إلى أن مصطلح (Arabesque) إنما هو من اختراع مؤرخ الفن النمساوي الأصل الذي يعد واحداً من مؤسسي علم تاريخ الفن وفلسفته: (آلويس ريكل Alois Riegle: 1858 ـ 1905م) في أواخر القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي.[1]

ومهما يكن من أمر ولادة هذا المصطلح واختراعه قبل ظهور مصطلح (الفن الإسلامي)، فإنه يمكن القول إن هذا المصطلح كان بمنزلة النواة المعرفية والدلالية الأولى للغة هذا الفن، التي صارت تتعامل معه بكل إيجابية، سواء في دراسات هذا الفن الأجنبية (الاستشراقية)، أو في دراساته العربية والإسلامية الحديثة والمعاصرة، التي عملت على نقل هذا المصطلح إلى لغة الفن الإسلامي العربية من طريقين:

الأول ـ تعريب لفظه الأجنبي تعريباً صرفياً خالصاً إلى (أرابسك).[2]

---

(1) الفاروقي، إسماعيل راجي. ولوس، لمياء. **أطلس الحضارة الإسلامية**، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، الرياض: مكتبة العبيكان، 1998م، ص265.

(2) قدّم أحد صناع معاجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية العرب المعاصرين تمهيداً لغوياً غريباً جداً، لا داعي له إطلاقاً في سياق هذا الموضوع، لشرح مصطلح (أرابسك Arabesque)، إذ يقول: "الأرب (بفتحتين) –جمع مآرب– المطلب المستهدف أو المنشود، والإربة: الحاجة المشتهاة، مصداقاً لقوله تعالى (غير أولي الإربة)، والإرب (بكسر الهمزة وسكون الراء) –جمع مآرب– الدهاء والمكر واستخدام الحيلة، والأريب: الحاذق والعاقل". انظر:
– رزق، عاصم محمد. **معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية**، القاهرة: مكتبة مدبولي، 2000م، ص12.

الثاني ـ ترجمته بمعنى متفاوت بين الدلالة على عموم الفن الإسلامي بلا تحديد ولا تمييز ولا استثناء،[1] والدلالة على الزخارف النباتية حصراً، كما هو في أصله الدلالي الأول.

وإذ تباين الباحثون العرب والمسلمون في هذه الترجمة الدلالية لمصطلح (Arabesque) إلى اللغة العربية، فقد اختلفوا كذلك في محاولات إيجاد مكافىء لفظي عربي مناسب للتعبير عنه، فقدم بعض هؤلاء الباحثين مصطلحات رئيسة لترجمته ترجمة معنوية ودلالية؛ منها مثلاً: (التوشيح)،[2] و(الرقش)،[3] و(العربسة)،[4] و(الترقين الزخرفي)،[5] و(الزخرفة العربية المورقة)،[6] و(الزخرفة بالفروع النباتية)،[7] و(الزخارف النباتية)،[8] وربما غير ذلك.

---

(1) معروف، نزيه طالب (إعداد). **زخارف الحرف اليدوية في العالم الإسلامي: الأرابسك**، إستانبول: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، 1997م، ص433.

(2) فكري، **المدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها**، مرجع سابق، ج1، ص183.

(3) عيسى، جورج. "بشر فارس في مصطلحاته الفنية والفلسفية"، **مجلة التراث العربي**، دمشق، س20، عدد80، تموز 2000م، ص149.

(4) ستيتيه، صلاح. "الصورة والإسلام"، **مجلة فنون عربية**، لندن، عدد6، 1982م، ص48.

(5) عكاشة، ثروت. **القيم الجمالية في العمارة الإسلامية**، القاهرة: دار الشروق، 1994م، ص433.

(6) الباشا، حسن. **التصوير الإسلامي في العصور الوسطى**، القاهرة: مكتبة النهضة العربية، 1958م، ص155.

(7) بريجز، **تراث الإسلام في الفنون الفرعية والتصوير والعمارة**، مرجع سابق، ص159.

(8) الألفي، أبو صالح. **الفن الإسلامي**، لبنان: دار المعارف، ط2، د.ت، ص112.

ثامناً: مصطلحات نشأت بعد مصطلح (الفن الإسلامي)

أما تلك الألفاظ والمفاهيم والمصطلحات التي نشأت بعد الظهور التاريخي لمصطلح (الفن الإسلامي) فهي كثيرة، وهي مهمة من حيث صناعتها الغربية، فضلاً عن كونها قد أصبحت عناصر حيوية للغة هذا الفن. ويمكن أن نعرض في هذا السياق بعض الأمثلة، التي منها:

1 – morisco: الإسبانية الأصل، أو Moresque الفرنسية التي ظهرت منذ العام (1019 هـ/1611م) بكونها صفة لكل ما يملك خصائص العمارة والفن المغربي Moorish، ثم صارت منذ العام (1165 هـ/1752م) تقريباً اسماً يعبّر تحديداً عن الأساليب الزخرفية والتزيينية الأندلسية والمغربية[1] في مجالات العمارة والصنائع والفنون الإسلامية المختلفة. وتتمثل هذه الأساليب بصورة رئيسة في الأشكال والأنساق والشبكات الزخرفية الهندسية geometrical بخاصة، المنفذة في (صنعة الخزف: السيراميك Ceramics) المغربية الخاصة والمعروفة باسم (الزلّيج zillij).

2 – Miniature: وهي لفظة إيطالية الأصل، ظهرت أول مرة عام (994 هـ/1586م)، ثم انتقلت إلى الفرنسية، ودخلت اللغة

---

(1) المفتي، أحمد. **موسوعة الزخارف التاريخية**، دمشق: دار دمشق، 2001م، ص8. انظر أيضاً:

– **Encyclopedia Britannica**, London: Encyclopedia Britannica, Inc., 2012.

الإنكليزية في حدود عام (1365 هـ/1946م)، لتعني بالتالي: الصورة المصغرة والدقيقة، الملونة أو المذهبة أحياناً؛ في المخطوطات.[1]

ويصعب تحديد زمان انتقال هذا المصطلح إلى لغة الفن الإسلامي، لكن ما يمكن قوله في هذا الانتقال هو أن هذا المصطلح الأجنبي قد عُرب تعريباً شبه حرفي إلى (المنياتور)، وترجم من الناحية الدلالية إلى (المنمنمات). ويعد الباحث اللغوي بشر فارس(2) أول من ترجم مصطلح Miniature من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية، مخترعاً مصطلح (المنمنمات) بعد استخراجه من فعل (نمنم) الأصيل في اللغة العربية.(3)

3 – Abstraction: الذي يعود تداوله الأول في اللغات الأوروبية إلى عام (955 هـ/1549م) بمعنى لا يمت إلى الفن بصلة خاصة ومحددة على النحو الذي ظهر فيه مصطلح Abstractionism منذ العام (1344هـ/1926م)،[4] ولكن هذا المصطلح استقر منذ العام (1364 هـ/1945م) تعبيراً عن اتجاه جديد في الفن التشكيلي الغربي، يقوم على خلوّ الرسم من التفاصيل الواقعية أو المادية للشيء أو

---

(1) **DICTIONARY OF ETYMOLOGY**, p 664

(2) كتابه: **سر الزخرفة الإسلامية**، القاهرة: المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، 1953، ص48.

(3) ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، ج2، ص305.

(4) **EncyclopaediaBritannica**, London: EncyclopaediaBritannica, Inc., 2012.

الموضوع؛ أي إنه تعبير عن مبادىء وتقنيات الفصل في ما بين الشكل والمضمون، من خلال الاشتغال التقني على الألوان والخطوط والأنساق الهندسية، بصورة أساسية، لصناعة (شكل Form) فني يشتغل، بدوره، بصورة رمزية في التعبير عمّا وراء هذا الشكل من المعاني العميقة والعالية. ويطلق على صناعة هذا الشكل الفني مصطلح (Abstract Art).[1]

ويعد التجريد، من حيث هو مفهوم فلسفي غربي مقابل للتشخيص في الفن، الجوهَر المعرفي لتطبيقات النظرية النقدية المعاصرة وإسقاطاتها على طبيعة الفن الإسلامي وخصائصه العامة، إذ يبدو أنّ الحديث عن التجريد في الفن الإسلامي يعود إلى الثقافة الجمالية الغربية التي ناقشت منذ القرن التاسع عشر، على الأقل، ما سماه بعض النقاد الغربيين: (نظرية الفن التجريدي العربي Arabesque)،[2] التي تجلت خلاصتها الإبداعية في مقولة مؤسس الحركة التكعيبية في الفن التشكيلي المعاصر؛ الفنان الإسباني بابلو بيكاسو (ت 1392 هـ/1973م): "إن أقصى نقطة أردت الوصول إليها في فن التصوير، وجدت الخط الإسلامي قد سبقني إليها منذ

(1) ريد، هربرت. **الموجز في تاريخ الفن الحديث**، ترجمة: لمعان البكري، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1989م، ص125.

(2) سوريو، إتيان. **الجمالية عبر العصور**، ترجمة: ميشال عاصي، بيروت: منشورات عويدات، ط2، 1982م، ص179.

أمدٍ بعيد". وكان هذا الفنان يقصد بهذه النقطة مفهوم (التجريد)[1] وأسلوبه الفني[2] المؤسس لما يعرف بـ (الفن التجريدي Abstract Art) الذي دخل المعجم الثقافي العربي الإسلامي أول مرة، بقرارٍ علمي رسمي صدر عام 1391 هـ/1972 م، من مجمع اللغة العربية في القاهرة؛ ينص على تعريف" الفن التجريدي بأنه: فن يعتمد في الأداء على أشكال مجردة تنأى عن مشابهة المشخصات والمرئيات في صورتها الطبيعية أو الواقعية."[3]

تاسعاً: الأسس المعرفية للمصطلح الفني الإسلامي

ومن أبرز ما يمكن أن نقرأه في السيرة الجمالية الاستعمالية لأغلب مصطلحات الفن الإسلامي، هو تحولاتها التاريخية بين الحياة والموت في الثقافة الإسلامية؛ وبخاصة أن المصطلح أشبه بكائن حي، غالباً ما تقوم قيمته المعرفية على حيويته الاستعمالية في المكان وفي الزمان؛ إذ يمكن لذلك تصنيف مصطلحات الفن

---

(1) ترجم اللفظ Abstraction إلى اللغة العربية والثقافة الإسلامية في الإطار الدلالي للفعل (جرَّد) الذي يعني نزع الشيء واستلاله من مكانه؛ إذ إن (التجريد) بعامة هو الخلاء والتعرية والتشذيب. وكان (التجريد) مصطلحاً عربياً إسلامياً يطلق بخاصة على تعرية الكتاب والمصحف من علامات الضبط اللغوي كالنقط والإعراب والتعجيم وأية زيادات أخرى على النص. انظر:
– ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، ج1، ص232.

(2) وغالباً ما يعبر عنه بمصطلح Abstractionism الذي يترجم إلى الحركة (التجريدية).

(3) مطلوب، **معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون**، مرجع سابق، ص134.

الإسلامي إلى واحدٍ من صنفين: أحدهما، يمكن أن نطلق عليه: (المصطلح الحي) وهو الذي ولد ونشأ وتطور واشتغل ولا يزال يشتغل معرفياً في لغة الفن الإسلامي. وثانيهما، (المصطلح الميت) الذي ولد واشتغل ومات في حقبة حضارية معينة، ولم يعد له وجود معرفي إلا في الوثائق التاريخية.

ومع أهمية الاثنين من الناحية المعرفية في تأصيل لغة الفن الإسلامي وبنائها على صعيدي التاريخ والعلم، من جهة أن دراسة سيرة المصطلح وتطوره التاريخي Etymologically تؤدي بلا شك الى منافع كثيرة ومهمّة في بناء هذه اللغة المعرفية الخاصة، يبدو المصطلح الحيوي الاستعمال أكثر أهمية، وأبرز دوراً، وأقوى تأثيراً في تأسيس علم الفن الإسلامي بعامة، وفي بناء علم المصطلح الفني الإسلامي بخاصة، على الأسس المعرفية الآتية:

1 – **اللغة:** الذي يغطي البنية اللغوية للمصطلح في مستوييها: الصرفي morphological، والمعنوي meaning، وبناء العلاقة المصطلحية بينهما على الترادف.

2 – **الثقافة** culture: وهو الأساس الذي يمنح المصطلح هويته اللغوية وخصوصيته المعرفية، بوصفه مصطلحاً ينتمي إلى ثقافة معينة، كأن تكون إسلامية أو إنسانية أو غير ذلك. وتقوم على هذا الأساس دلالة المصطلح بوصفه معطى ثقافياً أكثر منه معطى لغوياً؛ إذ تستند ثقافية المصطلح من

الناحية الذاتية على خصوصيات الثقافة التي ينتمي إليها المصطلح؛ من دين وعرف وأدب وخبرة وتجربة وغير ذلك، ويستند من الناحية الموضوعية على العلاقات الثقافية بين اللغات الإنسانية، من التفاعل والتبادل والتأثر والتأثير، وغير ذلك مما تتيحه المثاقفة، والترجمة، وغيرهما.

3 – **المنهج العلمي** Scientific Method: الذي يؤسس لعلمية المصطلح من خلال الرؤية التي تنطلق منها دراسة المصطلح؛ كأن تكون رؤية تأريخية Diachronic أو تعاصرية Synchronic، ومن خلال المنهج الذي تتبعه هذه الدراسة كأن يكون لغوياً مجرداً يقوم على الترادف، أو دلالياً Semantic، أو تأثيلياً Etymological جامعاً للاثنين معاً. ويسترشد في ذلك كله بعلوم الآلة كالمنطق وغيره.

عاشراً: تصنيف المصطلح الفني الإسلامي

أدت الطبيعة المعرفية للغة الفن الإسلامي إلى أن تكون بعض هذه التحديات اللغوية متأتيةً من داخل المنظومة الثقافية الإسلامية، وهو الأمر الذي قد يجعل التغريب والتعريب بوصفهما من أبرز خصائص المصطلح الفني الإسلامي خياراً إشكالياً، ربما يقوم، عند بعض المعنيين بالموضوع؛ على مراعاة "مسألة الوحدة والتعدد، التي تتميز بها الفنون الإسلامية، فلا ننسى وحدة المبادىء التي أفرزتها، وتعدد الشعوب التي أفرزتها، وبالتالي فإن علينا أن نتحرى

مصطلحاتها في كافة اللغات الإسلامية (العربية والتركية والفارسية وغيرها)؛ إذ ليس من المعقول مثلاً أن يضع أحدهم معجماً بالعربية لمصطلحات الفنون الإسلامية، ثم إذا مر به لفظ أو مصطلح تركي أو فارسي أو غير ذلك، اكتفى بالقول إنه عامي أو دخيل، وغض الطرف عن التفتيش عنه في مظانه."[1]

فهذا الرأي قد يفتح الباب واسعاً على أكثر من إشكالية مولدة بشكل مباشر وغير مباشر من إمكانيات القبول المعرفي بإضافة لغات أجنبية أخرى؛ غير إسلامية، إلى المنظومة اللغوية الناظمة لصناعة المصطلح الفني في الثقافة الإسلامية، مع إدراكنا لحقيقة هذه الإشكاليات كلها، بوصفها تحديات لغوية وثقافية فاعلة في (تغريب) المصطلح الفني الإسلامي، سواء من خلال نزع الشكل اللغوي العربي عنه، أو من خلال إفراغه من محتواه الثقافي والحضاري العربي.

ينطلق تغريب المصطلح الفني الإسلامي -في الأساس- من تلك (الإشكالية الاستشراقية)[2] في رؤية عدم كفاءة اللغة العربية لأن تكون لغة حضارية، لاعتقاد بعض المستشرقين القائلين بنظرية الفراغ المعماري والفني والحضاري في البيئة العربية في ما قبل الإسلام، ولتساوق هذه النظرية مع نظرية الوافد أو الدخيل اللغوي

(1) مطلوب، **معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون**، مرجع سابق، ص3.

(2) تقوم الإشكالية الاستشراقية على تقرير الشيء ونقيضه من الموضوعية والذاتية أو الإنصاف والإجحاف أو التقدير والتبخيس عند دراسة الحضارة الإسلامية وخصائصها المتميزة، سواء ما تعلّق منها بروحها وجوهرها، أو طرافتها الإبداعية، أو مكانتها بين الحضارات العالمية ودورها فيها.

لألفاظ العمارة والفن بخاصة، وألفاظ الحضارة بعامة، من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية، ومنها صار (المعرَّب) -قديماً وحديثاً- جزءاً من لغة الفن الإسلامي، التي يحتوي معجمها المتخصص بالعمارة الإسلامية -على سبيل المثال لا الحصر- عدداً كبيراً جداً من الألفاظ الفارسية والتركية وغيرهما من لغات الشعوب الإسلامية وغير الإسلامية، يبدو مصطلحاتٍ أساسية في لغة الفن الإسلامي المثقلة بكل أشكال هذا الوافد اللغوي اللفظية والدلالية.

وإذ يتضح، تنوع الأصول اللغوية والمصادر الثقافية التي تقوم عليها لغة الفن الإسلامي، فإن الاعتبارات الواجبة لضبط مفهوم المصطلح الفني الإسلامي ورسم حدوده المعرفية تقوم على الوحدة اللغوية والأصالة المعرفية في الانتماء الخاص والمباشر إلى علم الفن الإسلامي؛ إذ ينبغي أن يتفق أهل التخصص وأهل اللغة على أن (**المصطلح الأصيل**) في لغة الفن الإسلامي هو في الأصل كلمة عربية المبنى والمعنى، يمكن أن تكون هي البؤرة الدلالية في أي موضوع من موضوعات هذا الفن.

ومن هنا يجب أن تفهم مسألة (الوحدة والتنوع) المتعلقة بلغة الفن الإسلامي، على أساس ما يمكن أن نسميه وحدة الأصل اللغوي، وتنوع الفروع اللغوية المتصلة بهذا المركز، والمتعلقة أو المرتبطة به، والدائرة في فلكه اللغوي والمعرفي. وربما يفتح هذا الفهم أمام الباحثين في لغة الفن الإسلامي إمكانية تصنيف ألفاظها

ومصطلحاتها ومفاهيمها المتداولة ـ بشكل عام، ما يمكن أن نسميه:

1 – **المصطلح المعرّب:** من لغة غير اللغة العربية، وإن كانت إسلامية الثقافة، إلى لغة الفن الإسلامي العربية. وهناك كثير من الأمثلة على هذا المصطلح، الذي أصبحت معاجم العمارة والفنون والصنائع تعج به، إلى درجة يبدو فيها كأنه المصطلح الرئيس والأساس، بل والأصيل أحياناً، في لغة الفن الإسلامي. ومن أبرز المصطلحات الفنية الإسلامية مثالا لا حصراً: (الفسيفساء)، و(الطغراء)، و(الخانقاه).

2 – **المصطلح المغرّب:** في صناعته اللفظية الأجنبية، القائمة في المبنى والمعنى على صورة لفظ عربي اللغة والثقافة والصناعة أصلاً. وأبرز المصطلحات الأجنبية التي صنعها المستشرقون من ألفاظ عربية الأصل للدلالة على الفن الإسلامي والتعبير العلمي عنه؛ مثالاً لا حصراً: (الأرابسك)، و(التوريق)، و(المورسك).

3 – **المصطلح المترجم:** عبر نقل معناه أو مفهومه من الثقافة الفنية الغربية إلى لغة الفن الإسلامي، ليكون واحداً من مفاهيمها المعرفية الخاصة. ومن أبرز الأمثلة في هذا السياق مصطلح (المدرسة School) الذي كان قد نشأ أصلاً في الثقافة الغربية وتطور فيها خلال القرن الثامن عشر،

ليطلق على المجموعات والاتجاهات والأساليب الفنية، ثم جاء الباحث الفرنسي المتخصص بدراسة الفن الإسلامي كلود هيوار Cl. Huart[1] ليستخدم مصطلح (المدرسة) في كتابه عن أعمال الخط والرسم المصغر في الفن الإسلامي (المشرقي) في تصنيف الأساليب والاتجاهات الفنية لهذه الأعمال إلى e'coles : مدارس فنية، وهو ما كان البذرة اللغوية والمعرفية الأساس لنشوء ما صار يعرف عند المؤرخين بمدارس الفن الإسلامي.

أحد عشر: الحقول المعرفية لمعجمة المصطلح الفني الإسلامي

صار (المصطلح الفني) في الثقافة العربية الحديثة والمعاصرة مفهوماً مستقلاً ذا وجهة دلالية واحدة ومحددة صوب المعاني المتعلقة -بشكل خاص- بالفن، بوصفه واحداً من أركان المعرفة الإنسانية الأساسية الثلاثة إلى جانب العلم والأدب.[2]

وصار (المصطلح الفني الإسلامي) مجالاً معرفياً واسعاً وشاملاً لمعانٍ ومفاهيم متعددة ومتنوعة، تتعلق بالفن الإسلامي، بوصفه ركناً من أركان المعرفة الإسلامية، يتعلق بفقه الإبداع الحضاري والجمالي بعامة، ويقوم على فنون العمارة وتصميمها

---

(1) **Les Calligraphies et les Miniaturists De L'ORIENT MUSULMAN**, Paris, 1908. P67

(2) حنش، **الخط العربي وإشكالية المصطلح الفني**، مرجع سابق، ص25.

الداخلي والخط والزخرفة والتذهيب والتصوير، وغيرها من الفنون والصنائع الإسلامية المعروفة، بخاصة.

ويمثل هذان المصطلحان الجوهر المعرفي للغة الفن الإسلامي وصيرورتها الحيوية القائمة على المرتكزات الآتية:

- العلاقات الثقافية للغة الفن الإسلامي مع كلٍ من اللغات والحضارات والفنون الأخرى.
- التصنيف المعرفي لأجناس هذا الفن وحقوله المعرفية الفرعية كالعمارة والتصوير والخط والتذهيب وغيرها.
- الخصوصية العلمية الداخلية لكل من هذه الأجناس والفروع الفنية.
- التأطير النقدي الذي يعمل على تقويم العمل الفني الإسلامي وتذوقه، والحكم عليه في ضوء مبادىء وقيم ومعايير جمالية إسلامية، قد تتمثل من الناحية المعرفية والمفهومية في ألفاظ نقدية خاصة ومعينة.

ومن هنا؛ قد يصبح من الضرورة المعرفية والمنهجية تصنيف كل هذه المعاني والدلالات والمفاهيم والألفاظ الثقافية والمعرفية والعلمية والنقدية، التي قد يتضمنها (المصطلح الفني الإسلامي)، إلى الحقول الدلالية الآتية:

1 – **المصطلح الثقافي**، الذي هو لفظ تعريفي يأتي لبيان هوية (الفن الإسلامي) الإسلامية في سياق دراسات المثاقفة

الإنسانية، القائمة في مجال المعرفة الفنية على وصف بعض الفنون وصفاً عاماً مفتوح الدلالة على مجالات الثقافة الإنسانية العامة والمشتركة، كالدين والفلسفة، وغيرهما من الخصوصيات الاعتقادية، والمنهجية التفكرية، والتقنيات الإبداعية، والأساليب الفنية، والخصائص الجمالية.

ويهدف هذا المصطلح الثقافي -في الغالب- إلى وصف هذا الفن بعامة أكثر من تعريفه؛ أي يمكن له وصف الفن الإسلامي في سياق الثقافة الإنسانية -على سبيل المثال لا الحصر- بأنه فن تقليدي Traditional.

2 - **المصطلح المعرفي**، الذي هو تعريف عام، يهدف إلى تحديد المعاني والدلالات والمفاهيم المتعلقة بتحديد الإطار العام للعمارة والفنون والصنائع الإسلامية، بوصف كل منها مجالاً معرفياً متميزاً بخصوصيته المفهومية والعلمية والمنهجية، وبانتمائه المطلق والمباشر إلى ميدان معرفي بعينه، دون أية مشاركة أو تداخل مع غيره في سياق التصنيف المعرفي للفن الإسلامي بعامة، وأجناسه أو حقوله المعرفية بخاصة.

ويعمل هذا المصطلح على تعريف مركباتٍ مصطلحية مثل (الفن الإسلامي) و (العمارة الإسلامية)

و(فن الخط العربي) و(فن الزخرفة الإسلامية) وأشباهها الدلالية، في سياق التصنيف المعرفي الخاص بلغة الفن الإسلامي.

3 – **المصطلح العلمي**، الذي هو لفظ تعريفي أكثر تخصصاً من المصطلح المعرفي، يدخل في تشكيل البنية العلمية الذاتية أو الداخلية لمفهوم المصطلح المعرفي.

ويمكن أن نمثل لهذا المصطلح في سياق (العمارة الإسلامية) مثلاً بألفاظ وعبارات مثل: المسجد، المئذنة، الميضأة، المحراب، وغير ذلك من الألفاظ والعبارات الدالة في الأصل على أي عنصر من عناصر العمارة الإسلامية.

4 – **المصطلح النقدي**، الذي هو اللفظ الدال على الوصف والتذوق والحكم والتصنيف، المتعلق بالأشكال والصور والتقنيات، والأساليب والنظريات، والخصائص الجمالية المكونة لطبيعة الفن الإسلامي بعامة، والمعبرة بخاصة عمّا يمكن أن نسميه النظرية الإسلامية للنقد الفني.

ومن أبرز المصطلحات التي يمكن تصنيفها في هذا المجال: التجريد، الأسلوب، الإحسان، التفاضل.